فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

القنع

قال السيد مرتضى : (القنع) بالضم : الشبور ، وهو بوق اليهود ... وليس بتصحيف (قبع) بالموحدة ، ولا (قثع) بالمثلثة ، بل هي ثلاث لغات : النون، رواية ابي عمر الزهد (كذا . والصواب ابي عمر الزاهد) . والثالثة نقلها الخطابي وانكرها الازهري . وقدروي حديث الاذان بالاوجه الثلاثة ... وقد روي ايضا بالتاء المثناة الفوقية ... مثال الخطابي : سالت عنه غير واحد من اهل اللغة فلم يثبتوه لي على شيء واحد . فان كانت الرواية بالنون صحيحة ، فلا اراه سمي إلّا لارتفاع الصوت به ، وهو رفعه ، ومن يريد ان ينفخ في البوق يرفع رأسه وصوته . وقال الزمخشري : أو لان اطرافه اقنعت الى داخله اي عطفت . اه .

قلنا اصل رواية اللفظة في القديم في عهد الجاهلية قنع (بضم القاف واسكان النون وفي الاخر عين) وقد نقلها اليونانيون عن العرب في العهد العهيد بصورة Conchos وكانوا اذ انقلوا العين الى لغتهم حاروا في تصويرها بحروفهم فيختلفون بين ما ذكرناه من حرفهم اي CH (وهو حرف واحد في لسانهم) وبين حروف اخرى . واصل معنى القنع صدفة يشبه ظاهرها صدفة حلزون كبير وبالافرنسية Coquille ثم اطلق على كل ما اشبه هذه الصدفة من آنية وآلات فكان من معانيها عندهم القنقل ، وهو مكيال يكال به ، والجمجمة ، واعلى الرأس ، ومقبب الترس أو الدرقة . وغطاء كل آنية اذا كان مقببا ولاسيما ورودها عندهم بمعنى صدفة الحلزون وبمعنى الشبور الذي يشبه هذه الصدفة . والشبور بوق مقنع الطرف اي مستديره معطوف الى داخله كالصدفة المذكورة .

اما القبع بالباء الموحدة التحتية ، والقثع بالثاء المثلثة فهما عندنا من التصحيف القديم للفظة ، خلافا لما ارتأى صاحب التاج ؛ اذ اللغات في الغالب مبنية على تصحيف

وتحريف او لثغة . وان وردت مفردات على غير هذه الاوجه المذكورة .

ومن الغريب ان السلف من بعد ان وضعوا هذا الحرف في الزمن القديم عادوا الى اليونانية فعربوا Konchoulion المذكورة بصورة قنقن وخصوها بما يقابلها عند الافرنج Coquillage واطلقوا القنقن ايضا على ماسماه اليونانيون Conchulè . وكذلك نقلوا عن اليونانيين (القنقل) المار ذكره وهو مكيال يسميه الرومان Congius .

ونقل اليونانيون لفظتنا (القنع) بصورة اخرى وهي Cokhlos وهي عندهم الصدفة المستديرة العطفات الى الداخل فنقلها عنهم الرومان بصورة Coclea بمعنى الحلزون . واشتقوا منها في لسانهم الملعقة فسموها Coclear لانهم كانوا يستخرجون بطرفها الواحد الحلزون الذي كانوا مولعين بأكله .

فقد رأيت من هذا البسط ان السلف سموا الشبور بالقنع لانه على شكله والقنع هو الحلزون . ولم يكتفوا بالقبع والقنع المصحفين عنه . بل زادوه تصحيفا ثالثا وهو « المنع » فكانهم قرأوا القاف المهملة ميما وابقوا النون على حالها وارادوا به السرطان لا الحلزون والمنعي بزيادة ياء النسبة أكل السرطانات. فالظاهر ان السلف في الجاهلية كان مولعا بأكلها على حد مايفعل الرومان واليونان وابناء الغرب في عهدنا هذا . ومن الغريب ان اللغويين ذكروا المنع والمنعي بمعنيهما ولم يذكروا معدنيهما واصليهما . والسلف كثيرا ما يصحف الالفاظ ليعلق بها معاني جديدة وكان يتصرف مثل هذا التصرف في المفردات الدخيلة المعربة .

ومن العجب ان عوام سورية جهلوا ان Coclea اللاتينية عربية النجار فعربوها عنها وقالوا « قوقعة » في حين انهم كانوا في مندوحة عنها بقولهم « قنعة » مفرد القنع وان لم تسمع ، لوجود القاعدة ان الشبيه بالجمع يفرد بالهاء . — وكان عوام آخرون عربوها بصورة (قوقن) على ما رواه المستعيني وجاءت (كوكن) ايضا . وكلها تنظر الى الاصل العربي المصحف .

وما اضحكنا إلا قول احد الفضلاء المتشدقين وهو : « اذا اردتم ان تحطموا قوقعاتكم وتتخلصوا من انواع الضيق المسيطرة على نفوسكم . فاخرجوا ... افلا قال كما قال السلف الفصيح: اذا اردتم ان تتخلصوا من قائبتكم او قنعتكم

.... او نحوهما ؟ .

لكن هذه اللغة البائسة قد صار امرها الى بعض الجهلة فاخذوا يهدمون حصونها بالتوأسف وهم يجهلون نتيجة عملهم . فهذا هو الجهل المركب . وقانا الله شره !

الغريزي لا الغرزي

يكثر كتبة مصر من النسبة الى الغريزة بقولهم غرزي بفتح الاول والثاني مدعين ان ذلك هو القياس لما كان من المنسوبات الى فعيلة . والحال ليس كل قياس يقال ؛ لان السماع افضل من القياس . اذ هذا وجد بعد ذلك . والمسموع في النسبة الى الغريزة غريزي كما قالوا طبيعي وسليقي وسليمي وعميري وبديهي في النسبة الى طبيعة وسليقة وسليمة وعميرة وبديهة ، وذكر الغريزي صاحب « مد القاموس» نقلا عن الثقات . والاطباء الاقدمون لم يقولوا إلّا « الحرارة الغريزية» وقال ابن القفطي في كلامه عن خواص العدس : «واما حرارته الغريزية فقوية وطبيعته فائقة جيدة لا يغلبها سبب ممرض . » اه . وابن البيطار ذكر الحرارة الغريزية مئات ومئات .

ولهذا نتحدى كل كاتب ان يورد لنا شاهدا واحدا — من الاقدمين او من المولدين — فيه لفظة الغرزي في معنى الغريزي — نعم قد يجد الباحث الغرزي نسبة الى الغرز (كسبب) وهو ضرب من الثمام ، لكن بمعنى الطبيعي لا تجد ولن تجد . ولهذا وجب ان يقال الغريزي امنا للبس . واما حيث لا لبس فالنسبة الى فعيلة هو فعلي بالتحريك . تقول ربعي وحنفي وجذمي في النسبة الى ربيعة وحنيفة وجذيمة ؛ ويشبه فعيلة في النسبة فعيلة (بضم ففتح) تسقط منها الياء في مواطن وتحتفظ بها في مواطن اخرى . تقول جهني وقتبي (بضم ففتح) في جهينة وقتيبة . لكنك تقول حويزي في النسبة الى حويزة (راجع كتاب سيبويه طبع مصر ٢ : ٧٠ و ٧١) ولهذا لا يحسن بالمرء ان يخطىء صاحبه معتمدا على ما يرى في كتب الصرف والنحو ولا يلتفت الى السماع ، وإلّا فان ثبت هذا لديه كان حجة على القاعدة وضرب بها عرض الحائط كما قرره العلماء الاعلام في معاجم اللغة ودواوينهم العلمية .